الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعدُ:

فاللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

هذا الموضوع العظيم، وهو دلائلُ نبوةِ نبينا -صلى الله عليه وسلم- اهتمَّ به أهل العلم -رحمهم الله تعالى-، وصنَّفوا فيه المصنفات، فمنها مصنفاتٌ مُفْرَدة، ومنها مصنفات في داخل كتب السُّنة، كما بين البخاري -رحمه الله تعالى- في باب علامات النبوة في الإسلام في صحيحه، وهكذا غيره من أهل العلم.

ودلائل نبوة النبي -عليه الصلاة والسلام- عِلمٌ شريف، ينبغي أن يهتم به أهل الإسلام، وأن يعتنوا به، وأن يَبُثُّوه فيما بينهم، وأن يبثوه لغيرهم من المسلمين، وسنُبين -بإذن الله تعالى- هذه الدلائل في قراءة محدودة.

أول فقرة فيها: معنى الدلائل.

الدَّلائل: جمْعُ دليلٍ، وهذه الدلائل هي ما جعله الله لنبيه -صلى الله عليه وسلم- برهانًا وآية على صِدقه.

الثاني: أنواع هذه الدلائل:

هذه الدلائل أنواع، منها ما هو حِسِّيٌّ مُشاهَد، يُرى ويَقف عليه الإنسانُ بإخبار النبي -صلى الله عليه وسلم- بأمْرٍ، فيقع كما أخبر، أو شهادة تدل على صِدقِه -صلى الله عليه وسلم- من أيِّ نوع من أنواع الشهادات.

النوع الثاني من الدلائل: أعظمُ الدلائل على الإطلاق، وهو الدليل الباقي المستمر الذي هو عِلْمٌ لا يَنْضُبُ، وهو هذا القرآن العظيم، الذي قال الله فيه: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء: ٨٨].

سنذكر -بإذن الله تعالى- شيئا من هذه الدلائل مما قد وقع في زمن النبي -صلى الله عليه وسلم-، ونذكر دلائلَ مما أخبر به، ووقع من بَعدِه -عليه الصلاة والسلام-.

فإنَّ رسالةَ محمد -صلوات الله وسلامه عليه- رسالةٌ مستمرة إلى قيام الساعة، ولما كانت كذلك لم تكن دلائلُها محصورةً في وقته؛ لأنها لو كانت محصورة في وقته لقال قائل: أنا ممن أتى من بعده، ولا

أجد هذه الدلائل الدَّالة على صِدقِه، فلئن آمن به من رآه، بدلائل رآها، فإني لم أرَ الدلائل ولم أشهَدْها، لأجل ذلك كانت دلائلُه -صلى الله عليه وسلم- الدالة على صِدقِه كثيرةً متنوعةً، وقد ذكر شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى-: أن هذه الدلائل لمَّا أفردها المصنفون تَزيد على الألف، فاستقصاؤُها مُحالٌ، ولكننا سنشير إلى شيء منها -بإذن الله تعالى- مما وقع بعضُه في زمن النبي -صلى الله عليه وسلم- من باب الإشارة به إلى غيره. وهذه الدلائل منها ما كان بين المسلمين، ورآه المسلمون، وثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، ونقلوه، ومنها ما شاهده الكفار، وهو كثير أيضًا.

نذكر نماذجَ من الدلائل الحسية التي وقعت في زمنه -عليه الصلاة والسلام-، فمن ذلك:

- انشقاق القمر الوارد في قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ القَمَرُ﴾ [القمر: ١]، انشقاق القمر قد ثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه وقع في مكة، وأنه كان بطلبٍ من الكفار، أن يُرِيَهم النبي -صلى الله عليه وسلم- آية، فأراهم القمر -بإذن الله تعالى- شقتين.

فقالوا: سحر مستمر، فكونه يعاند أو لا يعاند هذا أمر آخر، المهم كما قال الله -عز وجل- -ولعله يأتي إن شاء الله-: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾ [فصلت: ٥٣]، المهم أن تظهر الآيات، أما كون هذا يستجيب أو لا يستجيب هذا أمر آخر، وسنرى أن هذه الدلائل هناك مَن آمن بها حين رآها، وهناك من عاند وأبى وأصر، فالعبرة ليست في كون هذا يُصر وذاك يَقبل، العبرة في وجود الدَّلالة نفسها، فإذا وُجِدت فمن أراد الله به الخير كما سنرى نماذج من ذلك -إن شاء الله تعالى- ترك هواه واتبع، ومن أبى إلا ركوب هواه، فإنه كما قال الله -عز وجل- في شأن هؤلاء وعِنادهم: ﴿فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

- ومن ذلك ما رآه الصحابة -رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم- وهو كثير جدا، ومن أمثلته الثابتة عنه -عليه الصلاة والسلام- تكثير الطعام، حتى أكل منه العدد الكثير، طعام يأتي في بعض الروايات أنه طُعَيِّمٌ، قليل، فيأكل منه بإذن الله -عز وجل- العددُ الجمُّ الكثيرُ، والأمثلة على هذا كثيرة ثابتة عن النبي -عليه الصلاة والسلام- في غير ما حديث.

- ومن ذلك نبْع الماء بين أصابعه الشريفة -صلوات الله وسلامه عليه-، وهذا أيضًا قد ثبت، ونَبَعَ الماء -بإذن الله تعالى- حين وضع يده -صلوات الله وسلامه عليه- في إناء قد ضاق الإناء على يده من صِغَرِ الإناء، فرأى الصحابة -رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم- الماء ينبع بين أصابعه وكل هذا الذي ذكرتُه الآن ثابت بالصحيح أو الصحيحين أو في خارجهما بأسانيدَ صحيحةٍ ثابتةٍ، فتَوَضَّأ العدد الكثير من الصحابة -رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم-.

- ومن ذلك حَنِين الجذع، فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يخطب إلى جِذْعٍ كان في المسجد، والجذع هذا يكون هو أصل الشجرة، فكان -عليه الصلاة والسلام- يخطب إلى هذا الجذع، ثم إنه لما وُضع له المنبر -عليه الصلاة والسلام- تحوَّل إلى المنبر، وترك الخطبة إلى هذا الجذع، فسمع الصحابة -رضي الله تعالى عنهم- لهذا الجذع أنينا كأنين الصبي، واشتد هذا على الصحابة -رضي الله عنهم- وبكوا من شدة الموقف الذي رأوه، وقال -صلى الله عليه وسلم-: «بَكَتْ عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ».

الأمثلة كما قلنا كثيرة، واستقصاؤها يصعب؛ لأنا نريد الحقيقة أن نذكر نماذج من الدلال الموجودة بين يدي الناس الآن، وبعضهم يسأل وأين الدلائل؟ الدلائل عن يمينك وعن شمالك ومن فوقك ومن تحتك، وأمامك ومحيطة بك ومن خلفك، وكثير من الناس لا يشعر بها كما سيأتي التدليل عليها -إن شاء الله تعالى-.

من الدلائل على صِدقه -صلوات الله وسلامه عليه- ما أخبرت به الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- قبْله مِن وصفه وبيان موضع هجرته، وهذا موجود في كُتُب أهل الكتاب إلى اليوم، هذا أمر مُهِم أن يُعلَم، لا بد أن يُعلم أن هذه الدلائلَ مستمرةٌ، فإنهم مع إخفائهم شيئا كثيرا مما في كتبهم، فإن في كتبهم من الدلائل ما تقوم به الحُجة عليهم؛ بحيث تتضح هذه الدلائل، ويأتي إن شاء الله شيءٌ من البسط لهذه المسألة؛ لأهميتها.

فيُقال: قد ذكر الله -عز وجل- شأن نبيه -صلى الله عليه وسلم- وشأن الدَّلالة عليه في كُتُب أهل الكتاب، فقال: ﴿يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، فهم يجدونه قطعا، ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ﴾ [المائدة: ٦٨]، قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى-: لو أقاموا التوراة والإنجيل لاهتدوا؛ لأن في التوراة والإنجيل الدلائل التي تدلهم على صدقه -صلى الله عليه وسلم- كما اهتدى أناس من أهل الكتاب ممن تركوا الهوى واتبعوا النبي -عليه الصلاة والسلام- ممن سيأتي -إن شاء الله تعالى- ذكرُ نماذجَ لهم.

النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يُذكر فقط في كتب أهل الكتاب بل ذُكِر أصحابه، كما قال الله -عز وجل-: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ﴾، ثم قال: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ [الفتح: ٢٩] إلى آخر الآية. فذُكرت هذه

الأمة بشيء كثير من التفاصيل في كتب أهل الكتاب، أخفَوْا ما أخفَوْا منها، ولكن بقيت دلائلُ وهي مستمرة، وهذا في الحقيقةِ يَحتاج وحدَه الدلائل الموجودة في كتب أهل الكتاب يحتاج وحده محاضرة مستقلة؛ لأن هذه الدلائل قد اعتنى بها أهل العلم، أخذوها من كتب أهل الكتاب وواجهوهم بها، وقد ذكر شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- في الجواب الصحيح، وذكر ابن القيم في كتابه هداية الحيارى نماذجَ لما في كتبهم وأمثلة لمن سنذكر إن شاء الله -عز وجل- ممن اهتدوا من أهل الكتاب بسبب الموجود في كتبهم، ونُعطي -إن شاء الله تعالى- لذلك نماذج منه.

لكن خذ مسألة واحدة كأنها الشمس في وَضَح النهار، اليهود في المدينة ثلاث قبائل، كانت هذه القبائل في الشام، الشام حيث الاستقرار السياسي والعيش الرغد، اتجهت هذه القبائل وتركت الشام نحو موضع محدد في الجزيرة العربية، من أسوأ المواضع عيشة، وكانت العرب تضرب بها المثل فتقول: حُمَّى يثرب، ففيها حمى شديدة ومن حيث الاستقرار لا يوجد استقرار سياسي داخل الجزيرة العربية أصلا، بل هي قبائل متناحرة، وفيما يتعلق بالمدينة كانت فيها قبيلتان كبيرتان هما الأوس والخزرج، وكان بينهما مَقاتلُ كثيرةٌ جدا.

لما أتى اليهود القبائل اليهودية الثلاثة هذه- أتت إلى المدينة واختارتها تحديدا، إنما كان ذلك بسبب ما في كتبهم من أن مُهاجَرَ النبي إلى هذه المدينة، فطمعوا أن يكون النبي منهم هم، اتجهوا إلى هذا الموضع واضطُروا اضطرارًا بسبب الوضع القبلي في المدينة، إلى أن يتحالف بعضهم مع الأوس، وبعضهم مع الخزرج، فإذا جاء قتال بين الأوس والخزرج وهم وثنيون تَقاتَل أهلُ الكتاب وهم أهل مِلَّة فيما بينهم، فقالوا لبعضهم: أي شأن هذا؟! نحن أهل كتاب ندخل في قتال مع هؤلاء عُبَّاد الأوثان، ويقتل بعضنا بعضا لأجل عباد الأوثان هؤلاء! لأن هؤلاء تحالفوا مع الأوس وهؤلاء تحالفوا مع الخزرج، فإذا قامت معركة دخلوا معهم في هذه المعركة.

كان مما أكثَرَ أهلُ الكتاب من ذكره للأوس والخزرج في تلك الحقبة؛ لأنهم ما سُمُّوا الأنصار إلا بعد أن أسلموا، كانوا يُصرِّحون ويَجهرون بأنه قد أظَلَّ زمانُ نبيٍّ نَتَّبِعُه ونقتلكم معه قتلَ عادٍ وإرَمَ.

قال الله -عز وجل-: ﴿وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ يعني يستفتحون بذكر أنه قد أظل زمان نبي نتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وإرم ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة: ٨٩]، فقال الأوس والخزرج: والله! إنكم كنتم تُخبروننا بشأن هذا النبي وبوصفه، فأكثرهم أبى أن يُؤمن، وقد روى الإمام أحمد -رحمه الله- بسنده عن سَلَمَةَ بن سلامةَ بن وَقْشٍ -رضي الله عنه- قال: كان لنا جارٌ يهودي في بني عبد الأشهل، فخرج علينا يومًا من بيته قبل مَبْعَثِ رسول الله -صلى الله عليه وسلم-

بيسيرٍ، فذكر البعث والقيامة والحسنات والميزان والجنة والنار، قال ذلك لأهل شرك أصحابِ أوثانٍ لا يرون بعثا كائنا بعد الموت، فقالوا له: ويحك يا فلان! ترى هذا كائنا أن الناس يُبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار، يُجْزَون فيها بأعمالهم؟! قال: نعم، والذي يُحلَف به! لودَّ أن له بحظِّه من تلك النَّارِ أعظمُ تَنُّور في الدنيا يُحْمُونه، ثم يُدخلونه إياه، فيُطْبَق به عليه، وأن ينجو من تلك النار غدا، قالوا له: ويحك وما آية ذلك؟ قال: نبي يبعث من نحو هذه البلاد، وأشار نحو مكة واليمن، قال سلمة: فواللهِ! ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله -صلى الله عليه وسلم- وهو بين أظهُرِنا فآمَنَّا به وكفر بغيًا وحسدًا، وهذا كما قلنا قوله -عز وجل-: ﴿وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ٨٩].

وقد قال -صلى الله عليه وسلم- كما في البخاري: «لَوْ آمَنَ بِي عَشَرَةٌ مِنَ الْيَهُودِ لَآمَنَ بِيَ الْيَهُودُ»، وهم كبراؤهم، وقد آمن بالنبي -صلى الله عليه وسلم- من أهل الكتاب كما سيأتي الموفقون المسددون الذين آثروا الحق على الهوى.

والذي آمن من اليهود في المدينة هو أعلم اليهود على الإطلاق في زمنه بشهادة اليهود، وهو عبد الله بن سَلَام -رضي الله تعالى عنه وأرضاه-، فقد روى البخاري عنه قِصة إسلامه، وهو أنه أتى وسأل النبي -صلى الله عليه وسلم- عن ثلاثِ مسائلَ، فلما أجابه النبي -صلى الله عليه وسلم- عنها، قال: يا رسول الله! إن اليهود قومٌ بُهت، يعني أهل بهتان، وإنهم إنْ يعلموا بإسلامي يَبْهَتوني، فادْعُهم واسألهم عني، فدعاهم النبي -صلى الله عليه وسلم- وكان ابن سَلَام في بعض المنزل لا يَرَوْنه، فقال: «أَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ؟»، قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وأعلمنا وابن أعلمنا، هنا أقروا واعترفوا، قال: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ؟»، قالوا: أعاذه الله من ذلك، نسأل الله العافية والسلامة، يستعيذون من الهدى، فقال: «اخْرُجْ عَلَيْهِمْ يَا ابْنَ سَلَامٍ»، فقال: إني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فقالوا: شرنا وابن شرنا، وسبوه ونالوا منه، يعني كما قال: إن اليهود قوم بهت.

وممن أسلم من كبراء النصارى في زمنه النجاشي -رحمه الله تعالى- أَصْحَمَة ملك الحبشة، فقد روى الإمام أحمد عن أم سلمة -رضي الله عنها- خبر هجرة من هاجر من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- من الحبشة، وما كان من إرسال كفار قريش وراءهم إلى النجاشي من يطلب منه أن يردهم إلى مكة، وكان النجاشي رجلا عادلا، فأبى أن يَرُدَّهم حتى يسألهم، وهم الذين اختاروا بَلَدَه عن سبب تركهم دين قومه وإتيانهم إليه، فلما جاؤوا سألهم. فقال جعفر بن أبي طالب -رضي الله عنه-: كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام، حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف صدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنُوَحِّدَه ونخلع ما كُنَّا نعبد من الأوثان، وعَدَّد عليه أمور الإسلام.

فقال النجاشي: هل معك مما جاء به من عند الله شيء؟

قال جعفر: نعم.

قال: فاقرأْه عليه.

فقرأ جعفر صدرا من سورة مريم، فبكى النجاشي حتى أَخْضَلَ لحيتَه، وبكت أساقِفَتُه حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشي: إن هذا -والله!- والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة. وأسلم النجاشي -رحمه الله تعالى- ولما مات صلى عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- صلاة الغائب.

وقد ذكر الله تعالى عن أهل الكتاب هؤلاء أنهم يعرفون النبي -صلى الله عليه وسلم- معرفة تامة، فقال: ﴿ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦]، فكانوا لا يَشُكُّون في صدقه -عليه الصلاة والسلام- وأنه قد أظل زمانه وأنه هو الذي ذُكر في كتبهم بوصفه.

وقد قال الله -عز وجل-: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ٨٩]، روى ابن جرير عن عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من الأنصار، أنهم ذكروا أن الآية نزلت في الأنصار واليهود الذين كانوا جيرانهم، قالوا: كنا علوناهم في الجاهلية ونحن أهل شرك، فكانوا يقولون: إن نبيًّا الآنَ مَبْعَثُه قد أظَلَّ زمانُه، فلما بَعَثَ اللهُ رسوله واتبعناه كفروا به، رواه ابن جرير.

فالحاصل أن دلائل صدق النبي -صلى الله عليه وسلم- والعلامات المؤكدة عليه -صلوات الله وسلامه عليه- معلومة معروفة، ولأجل ذلك آمن به من آمن منهم ممن هداه الله، وقدم الحق على هواه، فلأجل ذلك آمنوا ونجوا، وأما من قدّم هواه وأبى فهؤلاء كثيرون، وهم في اليهود أكثر منهم في النصارى؛ لأن الذين آمنوا من النصارى كثير جدا؛ لأن الله ذكر أن النصارى ضالون، أما اليهود فذكر أنهم مغضوب عليهم، والمغضوب عليهم سُمُّوا بذلك؛ لأنهم علموا الحق وتعمدوا عناده، أما النصارى في الجملة، ما نقول جميعهم، نقول في الجملة: ضالون؛ أي تائهون، والتائه إذا دُلَّ وقيل له: هذا الطريق، فإنه إذا أراد السلامة فإنه يسلكه، ولهذا آمَنَ عدد كثير من النصارى.

من ذلك الخبر الذي رواه مسلم عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أن رجلا من أحبار اليهود أتى النبي -صلى الله عليه وسلم- وقال: إني سائلك عن مسائلَ، قال -صلى الله عليه وسلم: «وَيَنْفَعُكَ إِنْ أَجَبْتُكَ»، قال: أسمع بأذنيَّ، فسأل النبي -صلى الله عليه وسلم- عن هذه المسائل، ثم سأل النبي -صلى الله عليه وسلم- بم يكون الولد؟ يعني في بطن أمه، حين يكون ذكرا أو يكون أنثى، فأخبره -صلى

الله عليه وسلم-، وكان قال قبلها، إني سائلك عن مسألة لا يعلمها إلا اثنان، أو نبي، فأخبره -عليه الصلاة والسلام- فقال: أشهد أنك نبي، وهذا من أكابر أحبارهم.

الدلائل على هذا في الحقيقة كثيرة، والدلائل والنصوص الموجودة في كتبهم كثيرة، وتجدها في مثل كتاب الشيخ رحمة الله الهندي -رحمه الله تعالى-، وكتابه اسمه (إظهار الحق)، وهو مناظرة كبرى جرت بين الشيخ رحمة الله هذا وبين كبير القساوسة في الهند في فترة الاحتلال البريطاني، وكانت مناظرة عامة، فجمع الشيخ رحمة الله -رحمه الله تعالى- جمع جملة من أقوال المسيح من النصوص الموجودة في الإنجيل دالة على أن المسيح عبدٌ من عباد الله، والنصوص الدالة على صدق النبي -صلى الله عليه وسلم-، وكانت مناظرة فاصلة جدا، وكان أثرها كبيرا على الناس، وعلموا بعدها الحق.

وهناك عدة كتب، فالعلماء اعتنوا -رحمهم الله تعالى- بنقل هذه النصوص، وهل تُنقل هذه النصوص؟ الأصل أنها ما تُنقل، إلا لبيانها لأهل الكتاب، أما نحن ففي غُنْيَةٍ ولله الحمد عنها، خاصة العامة، العامة ليسوا في حاجة إلى أن يُقال: في التوراة كذا، في الإنجيل كذا، وإنما هذا عند المناقشة وعندما يدرسها طلبة العلم وأمثالهم نعم، لكن على ألا تكون مما يُفشى؛ لأن الذي ينبغي أن يُفشى ويُنشَر هو نصوص الحق في كتاب الله وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم-.

من الدلائل العظيمة على نبوته -صلى الله عليه وسلم- إخباره بغيوب مفصلة، بعضها وقع في زمنه، وشاهده الناس، وبعضها وقع بعده.

ومن أشهر ما وقع في زمنه -عليه الصلاة والسلام- ما ذكره الله تعالى في سورة الروم، قال الله -عز وجل-: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ [الروم: ٢-٤]، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: كان الروم أهل كتاب، وكان المسلمون يُحبُّون أن يظهروا على أهل فارس؛ لأن أهل فارس أهل أوثان، وكان المشركون يحبون أن يظهر أهل فارس؛ لأنهم أهل أوثان، فلما التقى الروم بالفرس غلبوا، لهذا قال تعالى: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾، ثم أخبر تعالى عن خبرٍ غيبيٍّ، أن الروم من بَعْدِ غَلَبِهم سيغلبون، وحدد -عز وجل- المدة، فقال: ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ [الروم: ٤]، البِضع في لغة العرب ما دون العشرة.

فلما سمع كفار قريش بهذه الآية التي نزلت على النبي -صلى الله عليه وسلم- قالوا لأبي بكر -رضي الله تعالى عنه-: إن صاحبك يقول: إن الروم ستغلب بعد أن غلبت، تعالَ فلنقامرك ولنحدد سنوات، فإن غلب الروم فلك كذا وكذا، وإن غلبت الفرس فلنا كذا وكذا، هذا قطعا في مكة قبل تحريم القمار، وإلا فالقمار محرم.

فحَدَّ أبو بكر -رضي الله عنه- خمس سنين، فمضت خمس سنين ولم ينتصر الروم، فشق ذلك على المسلمين وافتتن بذلك الكفار، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- لأبي بكر -رضي الله عنه- آمرا إياه أن يَزيدهم في المدة، فزادهم أبو بكر في المدة سنتين؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ [الروم: ٤]، والبضع ما دون العشرة، فلما مضت سنتان انتصر الروم، وكان هذا من الأسباب الكبيرة لظهور صدق رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وإلا من يعلم أنه في بضع سنين تحديدا ستغلب هذه الأمة تلك الأمة، ثم إن الروم كانوا قد كُسروا كسرة شديدة على يد الفُرس في المرة الأولى، فالمتصوَّر أنهم ذُلُّوا ذلا شديدا، لكن الله تعالى شاء أن ينتصروا، وجعل في ذلك عبرة، ولهذا أسلم عدد من كفار قريش بعد نزول هذه الآية.

من الدلائل قلنا إذن إخباره -صلى الله عليه وسلم- سواء في القرآن أو في السنة بغيوب مفصلة تقع، ومن ذلك ما رواه البخاري عنه -عليه الصلاة والسلام- أنه قال: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مُوتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ، فَيَغْدِرُونَ، فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً» يعني راية، تحت ثمانين راية، «تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا»، الحديث رواه البخاري، وهذه أمور مفصلة، فبعد وفاته -صلى الله عليه وسلم- فُتحت بيت المقدس، لاحظ أن بيت المقدس كانت تحت يد أقوى قوة ذلك الوقت، وهم الروم، وأيضًا بيت المقدس لها مكانة عظيمة جدا، ففتح بيت المقدس بإخباره -عليه الصلاة والسلام- لم تمض إلا سنوات يسيرة وفتحت زَمَنَ عمر -رضي الله عنه-.

ثم الموتان وهو الموت الكثير، «يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ»، وقد توفي عدد كبير من المسلمين في طاعون عَمَوَاس، وهو المراد بالحديث هنا، وأخبر بعد ذلك أن المال سيستفيض، وكَثُرَ المال جدا في الناس وكانوا شديدي الفقر، تعلمون أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يمر ببيته ثلاثة الأهلة لا يوقد في بيته نار، قال عروة -رضي الله عنه- لعائشة: يا خالة ما يقيتكم؟ قال: الأسودان: التمر والماء.

حين يُقال لهؤلاء بأن المال سيستفيض، ثم يقع ذلك من آثار الفتوح الكثيرة التي فتحت، فكثر المال وتواردت على المسلمين أنواع من الانفتاح والرخاء الشديد بعد ذاك الضيق من العيش.

«ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ» وهذا الفتنة هي ما وقع بعد مقتل عثمان -رضي الله تعالى عنه وأرضاه-، فإنَّ الجماعة اشتد ما أصابها، ثم وقع ما وقع من معركة الجمل، ثم ما وقع في

معركة صِفِّينَ، رضي الله عن أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم- أجمعين، فوقع هذا كما أخبر -عليه الصلاة والسلام-.

وأخبر -صلى الله عليه وسلم- بعد ذلك عن هُدنة تكون بيننا وبين بني الأصفر وهم الروم، سُمُّوا بني الأصفر؛ لأنهم صفر، فأخبر أنهم سيغدرون بعد هذه الهدنة، وسيأتون في هذا العدد المقارب للمليون، «تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا»، عدد كبير.

وهذه تفاصيل غيبية، منها ما وقع ورآه الناس عيانا، فأمْر فتح بيت المقدس أيها الإخوة أمر عجب؛ لأن كون بيت المقدس يُفتَح وهو تحت يد الروم هذا أمر غاية في العجب، لا يمكن أن يصدقه أحد إلا من هو موقن برسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وإلا فكيف يُخبر -صلى الله عليه وسلم- بأن هذا الموضع شديد الأهمية الذي تُسيطر عليه قوةٌ هي أكبر قوة في ذلك الوقت، سيفتح، ثم يرتبه -صلى الله عليه وسلم-، موتي ثم فتح بيت المقدس، ثم يتحقق ما أخبر -صلى الله عليه وسلم- على التفصيل؟! هذا كما قلنا الإخبار بالغيوب المفصلة بهذه الطريقة لا شك أنها من دلائل نبوته -صلى الله عليه وسلم-.

ومن ذلك ما أخبر الله تعالى قبل ذلك، والصحابة -رضي الله عنهم- في مكة على حال من شدة الوضع، والصعوبة، وعظمة تسلط الكفار عليهم، فينزل الله علام الغيوب ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، فأخبر تعالى بأنها ستورث الأرض في سورة مكية وكان الصحابة على حال من تسلط الكفار عليهم لا يخفى عليكم مثله حتى إنهم اشتكوا للنبي -صلى الله عليه وسلم- ما يلقون من شدة الكفار فقال -عليه الصلاة والسلام-: «والله» وهذا في مكة «وَاللهِ! لَيُتِمَّنَّ اللهُ هَذَا الْأَمْرَ، حَتَّى يَمْشِيَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى عَدَنَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ».

كل هذه دلائل مفصلة، ومنها ما أخبر به -صلى الله عليه وسلم- من فتح فارس، وإخبار سراقة بن جُعْشُم بأن فارس ستفتح، وأن كنوز كسرى ستُنفَق في سبيل الله، فلما قال: «كِسْرَى» قال: كسرى بن هرمز؟! قال: «كِسْرَى بْنُ هُرْمُزَ»، ثم تحققت مثل هذه الدلائل، والله تعالى لا يُخلف الميعاد.

لننظر أيها الإخوة الآن في الدلائل المحيطة بنا نحن، هل هناك دلائل محيطة بنا مما أخبر -صلى الله عليه وسلم-؟ ألا ما أكثرها، وقد وصف -صلى الله عليه وسلم- هذه الأمة بما سيقع لها من فتوح عظيمة، وقد أخبر الله تعالى عن فتوح عظيمة ستكون لهذه الأمة، ووعد تعالى وهو الذي لا يخلف وعده، ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ

مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥]؛ لأن التوحيد وترك الشرك عاقبته التمكين في الأرض بوعد الله -عز وجل-.

فالذي يُقيم أمره على التوحيد، ونبذ الشرك يمكنه الله وعدا يتحقق وهذا ما وقع، فإن الله تعالى فتح من الفتوحات، واتسعت ولله الحمد دولة الإسلام، ودخل في دين الله -عز وجل- أفواجٌ هائلة من الأمم لا يُحيط بهم ولا يُحصيهم إلا الله تعالى تحقيقا لوعده سبحانه وتعالى.

وهكذا ما أخبر به -عليه الصلاة والسلام- من أمور فيها بشائرُ لهذه الأمة وهي كثيرة، وكما أخبر بهذه البشائر -صلى الله عليه وسلم- أخبر أيضًا بالتغيُّرات التي ستقع من انتكاسِ مَن انتكس في هذه الأمة؛ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- بُعِثَ ليبين للأمة ما تحتاجه، فإخباره -صلى الله عليه وسلم- بهذه الأمور التي ستؤدي إلى شيء من التغير والتزعزع هو من إقامة الحجة على من بعده، قال -صلى الله عليه وسلم- كما في صحيح مسلم: «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا فِتَنٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا»، ثم أخبر -صلى الله عليه وسلم- بأن الفتنة تأتي فيقول المؤمن: «هَذِهِ مُهْلِكَتِي»، ثم تنكشف، ثم تأتي فتنة أشد منها، فيقول «هَذِهِ هَذِهِ»، إلى غير ذلك مما أخبر -صلى الله عليه وسلم-.

ومن ذلك ما أخبر من التغير في مثل قوله -صلى الله عليه وسلم- وطَبِّقْ هذا الحديث وانظر في وضع الناس، «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتٌ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ»، قيل: وما الرويبضة؟ قال: «الرَّجُلُ التَّافِهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ» رواه ابن ماجة وهذا لفظه، ورواه أحمد أيضًا.

الرجل التافه حين يتكلم في أمر العامة هذا موضع لا يليق؛ لأن التافه ليس له إلا التفاهة، أمر العامة لا يتكلم فيه إلا من قِبَلِ أهل الفَضْل والكِبَرِ والمعرفة بالعلم الشرعي وأُولِي العلم وأهل البصيرة، فالتافه يتكلم في أمر العامة! وهكذا ما أخبر: يصدق الكاذب ويكذب الصادق، ويخون الأمين ويؤتمن الخائن، وهكذا إلى قوله: وينطق فيها الرويبضة.

ومن ذلك وقريب مما يتعلق بالرويبضة، الفتنة بمن ليس في قلوبهم ذرَّة من الإيمان، وتعظيمهم كما هو حاصل في عدد كثير ممن اشتهروا في الفترات السابقة حين ضَعُفَ وضع المسلمين وصاروا ينظرون إلى أعدائهم بنظر العلو، افتتن كثير من المسلمين بهؤلاء، بكتبهم، بأفكارهم، واستمر ذلك إلى اليوم، وصف -صلى الله عليه وسلم- هؤلاء الذين يفتتن بهم بقوله: «حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ: مَا أَجْلَدَهُ! مَا أَظْرَفَهُ! مَا أَعْقَلَهُ! وَمَا فِي قَلْبِهِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ»، انظر الوصف الدقيق كيف يفتن الناس بمن هم من أهل

التفاهة، ومن لا يستحقون أن يؤبه بهم، فيرفعون، ويوصفون بالجلد والظرف والعقل، وهم ليس في قلوبهم مثقال ذرة من إيمان، والحديث رواه البخاري.

ومن ذلك إخباره -صلى الله عليه وسلم- بما سيقع من الافتتان بالكفار، وشدة تتبع ما هم عليه من أحوال، والتشبه بهم في أمور وأحوال متعددة كثيرة، فقال كما في الصحيحين: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ، شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ»، تأمل هذا الوصف «حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ»، جحر الضب تعلم ضيقه الشديد، فيه دَلالة على أن هناك من سيقلد في هذه الأمة أهلَ الكفر حتى في الأمور التي يُتَعَجَّب من التقليد فيها، كما أن الإنسان يتعجب لو رأى من يريد أن يدخل جُحر ضب فسيوجد في هذه الأمة من يتبع هؤلاء هذا الاتباع الشديد في سقيم أفكارهم، وفي خبيث اعتقادهم، وفي أمور كثيرة من أحوالهم، وما هم عليه من الطرائق في المعيشة، فهذا وصف دقيق لو أن أحدا أراد أن يصف به ممن هو مشاهد اليوم هذا الوضع، لما استطاع أن يأتي بعُشر معشار هذا الوصف الدقيق الذي أخبر به -صلى الله عليه وسلم-.

وقد انحَطَّ كثيرون، وفُتنوا بما عليه أهل الكفر من أمور هي في أشد درجات الدنو والانحطاط، سواء من اتباعهم في عقائدَ فاسدةٍ، وعاش هؤلاء خدما لهذه المبادئ الضالة، فكم صرع من الناس وفتن بالأفكار الشيوعية في السنوات والحقب الماضية، حتى عاشوا كالخُدَّام لها، ينشرونها نشرا كأنما فيه الجنة موعودون بها، أفكار غاية في التفاهة وفي السخف وفي السقوط، ولهذا سقطت في فترة زمنية يُعد سقوط الشيوعية في تلك الفترة يُعَد سقوطا نادرا جدا في الأفكار، بعض الأفكار حتى وهي تافهة والمذاهب والمبادئ تبقى فترة طويلة، هذه انتشرت انتشارا لم تبق قارة واحدة في العالم إلا وانتشرت فيها، ثم هوت مرة واحدة، وهكذا جملة من الأفكار والمذاهب الدَّنِيَّة الباطلة، ذات العقائد الفاسدة، زِدْ على ذلك ما وقع فيه كثيرٌ من النساء والرجال في التشبه بالمظاهر المستغرَبة بما عليه أهل الكفر، التي ينكرها ذو الفطرة السوية الذي عنده فطرة سوية يُنكر هذا الاتباع العجيب الغريب، والتشبه الشديد بهؤلاء في أمور يأنف العاقل ذو الفطرة السوية أن يتشبه فيها بأحد؛ لأنَّا كما قال -صلى الله عليه وسلم: «حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ».

من دلائل نبوته -صلى الله عليه وسلم- إخباره بما سيقع في هذه الأمة التي بناها صلوات الله وسلامه على التوحيد، ومات -عليه الصلاة والسلام- وقد أدَّى الرسالة وبلَّغ الأمانة، ومات وهذه الأمة على أكمل ما يكون من التوحيد حتى صارت أمة التوحيد التي لا نظير لها في سائر الأمم، أخبر -

صلى الله عليه وسلم- بأن هذا الحال سيتغير، فأخبر -صلى الله عليه وسلم- بأن الشرك سيظهر، وأنه سيعود من جديد، وذلك في عدد من الأحاديث الثابتة عنه -عليه الصلاة والسلام-.

وبعض هذه الأحاديث سبحان الله العظيم رُبط بموقع وبمكان معين وبوثن محدد أخبر -صلى الله عليه وسلم- أنه من أوثان الجاهلية سيُعاد من جديد، وذلك ما رواه البخاري -رحمه الله تعالى- في صحيحه، ورواه مسلم أيضًا أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ عَلَى ذِي الْخَلَصَةِ»، يقول الراوي: وذو الخلصة طاغيةُ دَوْسٍ التي كانوا يَعبُدون في الجاهلية.

بوَّب البخاري -رحمه الله تعالى- على هذا الحديث بقوله: باب تغيُّر الزمان حتى يعبدوا الأوثان.

وبوب عليه ابن حبان بقوله: باب ظهور علامات الجاهلية في المسلمين؛ لأن هذه الأمور من أمور الجاهلية، تضطرب أليات نساء دوس يعني أنهن يطفن بهذا المعبود في الجاهلية الذي كان أسلافهم يعبدونه في الجاهلية.

وفي صحيح مسلم أن النبي -صلى الله عليه وسلم- حَدَّدَ البلدة التي سيكون فيه هذا، وأخبر أنها بلدة تُبَالَة، وهي موجودة الآن في جنوب المملكة، وهل وقع هذا أو لم يقع؟ وقع، وأدركه تلاميذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-، فلما امتد سلطانهم إلى تلك البلدة وَجَدُوا هذا الوثن قد فُتِنَت به قبيلة دوس، وجملة من القبائل، فهدموه ولكنَّ وسائل التهديم عندهم كما تعلم في السابق في القرن الثاني عشر كانت وسائل التهديم بالفؤوس وبالمساحي فهدموا ما استطاعوا من تهديمه، ثم بعدما انحصر سلطان الدولة السعودية الأولى، عادت هذه القبائل من جديد لهذا الوثن وعادوا من جديد له، فقبل نحو مائة سنة تقريبا نُسِفَ هذا الوثن بوسائل النسف الحديثة المعبَّر عنها بالديناميت، فأُتِيَ إلى هذا الموضع فنُسِفَ نسفا، وهو عبارة عن صخور كبار، ولهذا بعض أهل العلم يقول: هو المقصود بما ذكره في حديث جريرٍ من تسميته بالكعبة اليمانية، يعني كانوا هؤلاء في جهة اليمن، وكان هناك كعبة في مكة، فضاهَوْا كعبة مكة بتسمية هذا الموضع الذي بنوه بصخور بالكعبة اليمانية، مُضَاهَاةً للكعبة المعروفة هذه، وكان مبينا من صخور، ولهذا نُسِفَ ودُمِّرَت هذه الصخور ورمت الصخور في الوادي الذي من خلف هذا الوثن.

هذا وصف بليغ ودقيق وإخبار منه -صلى الله عليه وسلم- بواقع سيرجع يعجب الإنسان كيف يعود هؤلاء الناس إلى ما كان عليه أسلافهم في الجاهلية، وأعادوا نفس طاغية دوس وهو ذو الخلصة، ثم جعل الله شرف تهديمه على يد تلاميذ الشيخ محمد -رحمه الله تعالى-.

ومن ذلك قوله -صلى الله عليه وسلم- كما في صحيح مسلم: «لَا يَذْهَبُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ حَتَّى تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالْعُزَّى»، وهذا يدل على أنها ستعود من جديد.

ومن ذلك قوله -صلى الله عليه وسلم-: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ، وَحَتَّى يَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ»، فأخبر -صلى الله عليه وسلم- بأن هذه الأمة سيتغير فيها، ولهذا لاحظ ترجمة البخاري: باب تغير الزمان حتى يعبدوا الأوثان، يعني ستعود عبادة الأوثان وترجمة أيضًا ابن حبان في صحيحه باب ظهور علامات الجاهلية في المسلمين؛ لأنها ستظهر هذه، وإلا فالطواف على المعبود الذي كان يُعبَد في الجاهلية لا شك أن هذا من تغيُّر الزمان كما قال البخاري، ومن ظهور علامات أهل الجاهلية، وقد ذكر الشُّراح نحو عشرة من الشراح النووي وابن حجر وابن الأثير وابن الجوزي وعدد أن الحديث دال على ظهور الشرك في الأمة. فمما أخبر به -صلى الله عليه وسلم- أن هذه الأمة سيقع فيها الشرك والله المستعان.

وهو دال على أهمية أن يبذل الدعاة إلى الله -عز وجل- الجهد العظيم في التحذير من الشرك، وبيان صوره القولية والفعلية والاعتقادية والتحذير البالغ منه، وعدم التساهل به؛ لأن الشرك يبدأ في بعض الأحيان من أمر يستسهله الناس، بل قد يظهر من أمر فيه نوع من التعبد لله -عز وجل-، كما وقع لقوم نوح -عليه الصلاة والسلام- فإنهم كانت بداية الشرك كما ذكر ابن عباس -رضي الله عنهما- في بيان قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدًّا وَلاَ سُوَاعًا وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣]، قال: أسماء رجال صالحين، الخبر في البخاري، أسماء رجال صالحين في قوم نوح هلكوا، فأوحى الشيطان، يعني وسوس الشيطان لقومهم أن اجعلوا في مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا، نصبًا تذكارية فقط، تتذكرون ودًّا هنا وتتذكرون سواعًا، يعني من باب تكريم الصالحين، ومحبة الصالحين وتذكُّر الصالحين، قال: ففعلوا فلم تُعبَد؛ لأنهم أمة موحدة، لكن ابتدعوا هذه البدعة، قال: حتى إذا هلك أولئك، يعني الجيل الأول، وتَنَسَّخَ العلم، العلم يُنسخ، تنسخ يعني ينسى، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عُبدت، كم مكث نوح؟ مكث ألف سنة إلا خمسين عاما، واستمر هؤلاء قد أُشْرِبَ الشرك في قلوبهم قال تعالى: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠]؛ لأن الشرك عياذا بالله إذا أُشْرِبَتْه القلوب يفتن به أهله غاية الفتنة، لهذا قال تعالى فيما يتعلق ببني إسرائيل: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ العِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: ٩٣]. فالشرك في بعض الأحيان يحبه أهله محبة شديدة عياذا بالله ويفتنون به، ولهذا ينبغي التحذير من الشرك، من صوره وتبيينه للناس؛ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- أخبر أنه سيكون في الأمة.

ومن التغيير الذي أخبر -صلى الله عليه وسلم- وأنه سيقع في أمته ظهور الفرق الضالة في الأمة، فقال -صلى الله عليه وسلم-: «سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً» وفي لفظ «عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً».

فالصحابة -رضي الله عنهم- من فقههم أنهم قالوا: من هي يا رسول الله، يعني الناجية، ولم يَسألوا عن أنواع الهالكين؛ لأنَّ الهلاك كثيرٌ، ما قالوا: حدِّد لنا أخبار تلك الثنتين والسبعين فرقة؛ لأن الأمر لا تنظر إلى الهالك كيف هالك، ولكن انظر إلى الناجي كيف نجا، وهذا من فقه الصحابة، قالوا: من هي؟ يعني هذه التي تنجو، قال: «الْجَمَاعَةُ»، وأول ما ينصرف لفظ الجماعة له جماعة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- التي أَسَّسَها فمن سلك مَسلك جماعته -صلى الله عليه وسلم- ولهذا في اللفظ الآخر: «مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي» هؤلاء هم الناجون إلى قيام الساعة، ولهذا ثبت عنه -عليه الصلاة والسلام- أيضًا أنه قال: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ»، وهذا من فضل الله تعالى أن الحق لا يضمحل في الأمة حتى لو كثُرت الغربة، وإلا فقد ثبت في مسلمٍ أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ». فيكون الإنسان غريبا؛ لأنه مستمسك بالحق وحوله أناس كثير من المُصِرِّين على الباطل، فيكون غريبا حتى لو كان في بلده أو بين أهله.

هذه الفِرَق بعضها قد فصّل النبي -صلى الله عليه وسلم- تفصيلا شديدًا أحوالها، ومن أكثر ما فصّل فرقة الخوارج، ففرقة الخوارج الإشكال فيها كبير؛ لأنه يُعجَب بها بسبب ما يُظهرونه من تديُّن ومن إقبال على العبادة، يعجب بها أناس، ويسري عياذا بالله داؤها في كثيرين، يقولون: هؤلاء هم ذوو العبادة الحقيقة، هؤلاء هم ذوو التدين الصادق، ولهذا سبحان الله! تكاثرت النصوص عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في وصف الخوارج؛ إذ الفتنة بهم شديدة؛ لأنك لا ترى أُناسا يُسَهِّلون أمر المعاصي أو يَدْعون إلى ترك للواجبات، بل ترى أناسا شديدي الديانة، فلهذا يُفتن بهم كثيرون ولا سيما الشباب، ولهذا فصّل النبي -صلى الله عليه وسلم- أمر الخوارج تفصيلا عظيما في النصوص الثابتة عنه -عليه الصلاة والسلام- حتى حدد الموضع الذي سيخرجون منه، وحدد علامة الشخص الذي يدل على أنهم خوارج، وأخبر بجملة بعد ذلك من صفاتهم.

فجمع -صلى الله عليه وسلم- بين أمرين، الإخبار بمبدئهم بأولهم وهذا أمر مهم جدا للذين كانوا يسمعونه في وقته -صلى الله عليه وسلم-؛ لأنهم سوف يواجهون هؤلاء الخوارج، ثم أخبر بصفاتهم التي إذا دقَّقت فيها وجدتها صفة مستديمة في الخوارج على امتداد الأزمنة.

فمن ذلك أنه -صلى الله عليه وسلم- حدد مكان خروج الخوارج، فأهوى بيده كما في البخاري إلى العراق، وأخبر -صلى الله عليه وسلم- أنه سيكون مخرجهم من جهة العراق، وهذا في البخاري، وهو يوضح المراد بقول النبي -صلى الله عليه وسلم- بأنهم يخرجون من المشرق، فإن مخرجهم كان من العراق، والدليل على هذا ما رواه مسلم، ومسلم فصل كثيرا في أحاديث الخوارج رحمه الله، وكذلك رواها البخاري. أمَّا مسلم -رحمه الله تعالى- ففصّل أحاديث الخوارج من جهة خروجهم ومن جهة صفاتهم، وكذلك فعل البخاري، لكن أحاديث الخوارج في مسلم أكثر من أحاديث الخوارج في البخاري، وإلا فكلاهما -رحمهما الله- قد اعتنى بهذه، وكذلك غيرهما من أهل العلم.

من صفاتهم التي أخبر -صلى الله عليه وسلم-:

أولا: بيَّن -صلى الله عليه وسلم- فيما رواه علي وأبو سعيد -رضي الله عنهما- بين أنهم سيخرجون على حين فُرقة من المسلمين، وحين الفُرقة هو ما وقع من القتال بين الصحابة -رضي الله عنهم وأرضاهم-، ولهذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحسن -رضي الله عنه-، الحسن بن علي -رضي الله عنهما-: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَسَيُصْلِحُ اللهُ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»، فدل على أن الفئتين المتقاتلين من المسلمين.

فيما يتعلق بالخوارج أخبر أنه سيخرجون على حين الفرقة، حين تأتي هذه الفرقة التي كانت بين المسلمين ووقع ما وقع في القتال، هنا يخرج الخوارج، وبالفعل ولا بد أن يقع كما أخبر -صلى الله عليه وسلم- خرجت الخوارج، خرجت الخوارج وحَدَّث علي -رضي الله عنه- أهل العراق بخبرهم، وحدث أبو سعيد بخبرهم.

وأخبر -صلى الله عليه وسلم- بعلامة الخوارج، وهو أنهم رجل سبحان الله العظيم يده كثدي الأنثى، تَدَرْدَرُ يعني أنه تضطرب تتحرك، خلقت يده هذه الخلقة، كان له عضد وليس له ذاك الذراع، ولكن كانت فيه هذه العلامة، ولهذا لما قتل علي -رضي الله عنه- الخوارج وحدث بهذا الحديث، ثم لم يجدوا هذا الرجل الذي أخبر به -صلى الله عليه وسلم- أصاب بعض الذين كانوا مع علي -رضي الله عنه- أصابهم شيء من الكآبة قالوا: قتلنا هؤلاء المسلمين! فحلف علي -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لا يمكن أن يتخلف أمره، فأتى إلى قوم قد قُتل بعضهم على بعض، فأمر أن يحركوا ثم وجدوا هذه العلامة، علامة الرجل الذي أخبر -صلى الله عليه وسلم- ولهذا سجد لله شاكرا -رضي الله تعالى عنه وأرضاه-، وأخبرهم أيضًا أبو سعيد به، فمبتدأ خروجهم كان من العراق.

تأتيك النصوص بتفصيل ما كان عليه الخوارج، فقال -صلى الله عليه وسلم-: «يَتِيهُ قَوْمٌ قِبَلَ الْمَشْرِقِ» يتيه يضيعون، الخوارج ضائعون، يظنون أنهم على صواب، ولهذا قال -صلى الله عليه وسلم- بيانا لضياعهم: «يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ» يعني يستدل بالقرآن والقرآن دليل عليه، وهو يظن أن القرآن دال له، وهذا من جهلهم قطعا، ولهذا قال -صلى الله عليه وسلم- بيانا لشدتهم في العبادة: «تَحْقِرُونَ» والكلام مُوَجَّهٌ للصحابة، «تَحْقِرُونَ قِرَاءَتَكُمْ مَعَ قِرَاءَتِهِمْ، وَصَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ»، يعني أنهم شديدو التعبد، وهذه علامة أيضًا من علاماتهم، ولا تكون علامة التعبد دالة على الهدى إلا إذا كانت على السنة، ولهذا لما قيل لابن عباس -رضي الله عنهما- وذُكِرَ له شدةُ تعبُّد الخوارج، قال: النصارى أشد تعبُّدا منهم، يعني ليست العبرة أن يتعبد على غير هُدًى ولا غير سبيل صواب، بل يُتعَبَّد على هدي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

ومن ذلك قوله -صلى الله عليه وسلم-: «تُعْجِبُهُمْ أَنْفُسُهُمْ» وهذه علامة سبحان الله موجودة في الخوارج، «تعجبهم أنفسهم» فتجد أنهم يرون أنهم هم الذين قاموا بالأمر كما ينبغي، وأنهم هم الذين تبرأ ذممهم، وأن من سواهم خائن وأنه لم يقم بالأمر، معجبون بأنفسهم، كل هذه أوصاف ثابتة عنه -صلى الله عليه وسلم-.

ومن ذلك قوله -صلى الله عليه وسلم-: «سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ حُدَثَاءُ الْأَسْنَانِ»، حُدَثاء الأسنان واضح وهو أنهم في العموم الأغلب سبحان الله الخوارج على امتداد التاريخ إلى يومك هذا في العموم الأغلب صغار، صغار السن؛ لأن الصغار يُعجبهم إذا رأوا هؤلاء يتعبدون وأن هؤلاء يدعون إلى نصرة الإسلام، ورفع ما جرى على الأمة من الذل والمهانة، كثيرون من الشباب يحبون هذا اللون من الكلام، فيبادرون إلى اتباع الخوارج، فهم حدثاء الأسنان في العموم الأغلب، وإن وجد معهم من يكون كبير السن، لكن في الجملة هم حدثاء الأسنان.

«سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ» عقولهم عقول سفهاء، وذلك أنهم مع صِغَرِ السِّنِّ قليلو العِلم، ولذلك يقرءون القرآن يحسبونه لهم وهو عليهم، هذا يدل على ماذا؟ يدل على عدم فهم القرآن، فيستدل بالآية التي هي عليه يظن أنها له، ولهذا قال ابن عمر -رضي الله عنهما-: إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المسلمين، آيات نزلت في الكفار الذين يعبدون غير الله من المشركين، فجعلوها على أهل التوحيد الذين لا يشركون، وهذا من أدل الدلائل على سفه الحلم، الأحلام يعني العقول.

ومن ذلك قوله -صلى الله عليه وسلم-: «يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ»، وهذا سبحان الله وصف عام، لو تنظر في قتلى الخوارج لوجدت أن أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- هي

التي شَقِيَتْ بهم، وأن أكثر ما يقتل الخوارج أنه من هذه الأمة، وقد وُجِدَ في بعض الخوارج من يتورع عن سفك دماء أهل الذمة ويَسفك دماء المسلمين، روى عبد الرزاق في المصنف أنه لما أخذوا عبد الله بن خبَّاب وكان أحد أمراء علي -رضي الله عنه-، فأخذوه فمروا في أثناء أَسْرِهم له بخنزير من خنازير أهل الذمة، فنَفَحَه أحدهم بالسيف، ضرب الخنزير، فقال أحدهم منكرًا عليه: خنزير من خنازير أهل الذمة، بم استبحته؟! يعني أنه ينكر عليه يقول هذا ما يجوز أن تتعرض له، خنزير لرجل من أهل الذمة، وأهل الذمة لهم عهد، فكيف تتعرض له؟!

قال: ومروا ببستان فوجدت تمرة فوضعها في فمه، فقال: تمرة من تمور رجل من أهل الذمة، بم استبحتها؟ يعني كيف تأكل التمرة؟

فقال عبد الله بن خبَّاب: ألا أخبركم بما هو أعظم من الخنزير؟ قالوا: بلى، قال: أنا! أنا رجل مسلم كيف الآن هذا التورع عن خنزير من خنازير أهل الذمة، وأنا رجل من المسلمين؟! قال: فقدموه فذبحوه ذبحا، وبقروا بطن أمٍّ ولده وكانت حاملا.

فانظر سَفَهَ الحِلم الآن، يتورع عن خنزير من خنازير أهل الذمة، لكنه يستسهل أن يقتل مسلما وبهذه الطريقة، حتى إنهم قالوا له: لأن خباب بن الأرت -رضي الله عنه- صحابي، قالوا له: حدثنا بحديث سمعته من أبيك، فحدثهم بحديث فيهم، بأن النبي -صلى الله عليه وسلم- أخبر عن فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، يعني يتناسب الحديث معهم، فحَدَّثهم بالحديث الذي لو تأملوه لعلموا أنهم في فتنة، ومع ذلك قَدَّموه وقتلوه.

الحاصل: أن إخبار النبي -صلى الله عليه وسلم- بتغيُّر الناس، وما سيقع في هذه الأمة من تبدُّل الأحوال والله المستعان، ووقوع الشرك في أمة التوحيد هذه، حتى إن في الأمة للأسف الشديد من يشرك برسول الله -صلى الله عليه وسلم-، رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سيِّد الموحدين، أتى ليُنهي الشرك، فتقول: يا رسول الله! وهو سيد الموحدين، تُشرك به؟! وهو الذي قاوم الشرك -صلوات الله وسلامه عليه-، فوُجد هذا في الأمة والله المستعان، بسبب تراكم الجهل ودعاة السوء، وقلة نشاط بعض الدعاة إلى الله -عز وجل- في توضيح مثل هذه الأمور والانشغال بالمصالح الشخصية، وإلا فحاجة الأمة عظيمة جدا إلى بيان الشرك وبيان التغيُّر، والبدع والضلالات، وإخبار النبي -صلى الله عليه وسلم- بما فيها من الضُّر والشر على الأمة، فالواجب أن يُجتهد في مثل هذا، وأن يُحرص على أن ينشر.

ومن ذلك أيضًا مما أخبر -صلى الله عليه وسلم- وهو دالٌّ على نبوته، كل هذا الكلام الذي نقوله أوصاف من الغيب يخبر بها -صلى الله عليه وسلم-، انظر الآن كثرة العلم الدنيوي، وتلون التخصصات، وأنواع من فتح على الناس في هذه الأمور الدنيوية، حتى صار العلم الواحد مجموعة العلوم الدنيوية، والعلم الشرعي أخبر -صلى الله عليه وسلم- أنه هو الذي يقل، «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ لَأَيَّامًا، يَنْزِلُ فِيهَا الْجَهْلُ وَيُرْفَعُ فِيهَا الْعِلْمُ»، المقصود العلم الشرعي، أما العلم الدنيوي فمستمر، كما قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٧]، قال الحسن: ليبلغ بأحدهم من معرفته -يعني بالدنيا- أن يضع الدرهم على أصبعه، فيخبرك بوزنه، من معرفته للدنيا، ثم لا يحسن يتوضأ، يعني أمور دينه ما يعرف يتوضأ، لكن في دقته بمعرفة الدرهم بأن يعرف تقريبا مقدار وزنه بدون ميزان، من كثرة من فتح عليه من الدنيا، ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾.

ولهذا تجد أناسا يجيدون عدة لغات، ومعهم شهادات عليا، ثم يتوضأ وضوءا خاطئًا، يصلي صلاة خاطئة، يقرأ القرآن يرد عليه الصبي ابن عشر سنين، هذا معنى كونه يقل العلم الشرعي وإن انتشر وظهر العلم الدنيوي.

ومن ذلك إخباره -صلى الله عليه وسلم- بكثرة القتل، فقال: «يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ وَيُقْبَضُ الْعِلْمُ، وَتَظْهَرُ الْفِتَنُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ»، قالوا: وما الهرج يا رسول الله؟ قال: «الْقَتْلُ الْقَتْلُ»، يشتد القتل، حتى أخبر -صلى الله عليه وسلم- قال: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِيمَ قَتَلَ، وَلَا الْمَقْتُولُ فِيمَ قُتِلَ»، حتى القاتل يقتل ما عنده سبب حقيقي للقتل، والذي قتل وظلم لا يدري لماذا قُتل، هذا كالشمس الآن تراه، تساهل الناس بالدماء، وكثرة من يقتلون ممن لا علاقة لهم بأمر يرتبط بجناية قاموا بها، هذا معنى قوله -صلى الله عليه وسلم- لكثرة القتل، مع كثرة ما يقع من الحروب والدمار الذي يقع من ذلك.

ومن ذلك إخباره -صلى الله عليه وسلم- بانتشار الزنا، وليس بوقوعه؛ لأن وقوع الزنا موجود، لكن أخبر -صلى الله عليه وسلم- بأنه سينتشر وسيفشو، ولهذا قال -صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَظْهَرَ الزِّنَا»، بمعنى أنه يستفحل ويكثر، وإلا فقد وُجد في زمن النبي -صلى الله عليه وسلم- من وقعوا في هذه الفاحشة وأقام -صلى الله عليه وسلم- الحد، لكن المقصود أن يظهر، وهذا كما تراه الآن كثير لا حول ولا قوة إلا بالله، نعوذ بالله من الفتن، وهناك من يروج وهناك من ينشره نشرا

مريعا في الأرض، حتى صار عياذا بالله مما يسهل الوصول إليه، فهذا مما أخبر -عليه الصلاة والسلام-

.

مما أخبر به -صلى الله عليه وسلم- ما رواه مسلم من ظهور النساء الكاسيات العاريات، مائلات مميلات، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، وصف دقيق؛ لأن النساء كن حتى في الجاهلية يَتَرَفَّعْنَ عن أن يَظْهَرْنَ باللباس السَّيِّئ هذا، فأخبر -صلى الله عليه وسلم- أن هذا سيقع في أمته، وقال: «صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي لَمْ أَرَهُمَا»، وذكر من هذين الصنفين «نِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، مَائِلَاتٌ مُمِيلَاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا» إلى آخر الحديث.

وصف دقيق، انظر الآن انتشار التبرج على الهيئة المريعة المخيفة، حتى إنك تَعجَب هل هذه المرأة التي على هذا الحال، قد تظن أنها غير مسلمة، وإذا بها مسلمة، وفي هذا الوصف كاسيات عاريات إلى آخر الحديث.

من ذلك ما أخبر -عليه الصلاة والسلام- من استفحال زخرفة المساجد، فقال كما في المسند: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَبَاهَى النَّاسُ فِي الْمَسَاجِدِ»، وقال ابن عباس -رضي الله عنهما-: لتُزَخْرِفُنَّهَا كما زخرفت اليهود والنصارى، وهذا كما ترى مُلاحَظٌ كثرة إقبال الناس على الزخارف هذه في المساجد، وسبحان الله العظيم، هذه الزخارف مكلفة تكليفا شديدا، إلى حد أنه تبلغ أنها لو بني بلا زخارف، لبني بقيمتها مسجد آخر، إلى هذا الحد؛ لأن بعض الزخارف هذه مكلفة جدا بالألوف، فأخبر -صلى الله عليه وسلم- بأن هذا سيقع، وعمر -رضي الله عنه- كما في صحيح البخاري لما جاء لبناء المسجد قال لبانيه: (أَكِنَّ الناسَ من المطر والشمس)، يعني ليكن ساترا من المطر والشمس، (ولا تُحَمِّرْ ولا تُصَفِّرْ فتفتن الناس)، يعني لا تجعل ألوانا حمراء وألوانا صفراء، فيفتن المصلي، يصير المصلي في أثناء صلاته يفتتن، فهذا مما أخبر به -صلى الله عليه وسلم- ووقع.

ومن ذلك مما أخبر به -عليه الصلاة والسلام- تلقي العلم عن غير أهله المؤهلين، فقال: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ثَلَاثًا»، وذكر منها: «أَنْ يُلْتَمَسَ الْعِلْمُ عِنْدَ الْأَصَاغِرِ». قال ابن المبارك: (هم الذين يقولون برأيهم، فأما صغير يروي عنه كبير فليس بصغير)، يعني إذا كان هذا الشخص من أهل السنة وأهل الهدى ثم إنه صغير في سنه، وعلى المنهج السوي، فإنه ليس هو المقصود، ولكن المقصود الأصاغر في قدرهم وهم أهل الهوى، وهم كما ذكر ابن المبارك من يتكلمون بالرأي، وأهل الضلال، وأهل البدع، يلتمس العلم عند هؤلاء، هؤلاء لا علم عندهم، هؤلاء ما عندهم إلا البدعة، وإذا وُجد

عندهم شيءٌ من العلم فإنهم خطر عن المتلقي عنهم، لأنهم يخلطونه ببدعتهم، فلا يميز في الأخذ عنهم إلا القلة الذي يفهم ما عليه هذا الشخص من البدعة والضلالة وهذا قد يكون لبعض طلبة العلم المبرزين، لو أراد مثلا أن يأخذ النحو أو نحوه من هذا الشخص، فإنه يكون حذرا، أما إذا كان من ذوي الهوى وذوي الضلال وتُلُقِّيَ العلم عنه فإنه يُزيِّنُ البدعة ويزهد في السنة، ويجعل الحق باطلا، والباطل حقا.

نختم بالكلام عن أعظم دلائل نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم- وهو هذا القرآن العظيم، الذي قال الله: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ [الإسراء: ٨٨]، وقال -عز وجل-: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [الطور: ٣٤]، وقال -عز وجل-: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ﴾ [هود: ١٣]، وقال -عز وجل-: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ﴾ [البقرة: ٢٣]، فلم يتمكنوا، ولن يتمكن أحد بأن يأتي بمثل هذا القرآن العظيم ولو بسورة منه؛ لأنه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ينبغي أن نركز ولو لبعض الوقت في أمر دلائل هذا القرآن العظيم.

دلائل القرآن العظيم على نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم- من عدة جهات، منها نظمه العظيم، هذا النَّظْم العظيم لكتاب الله -عز وجل- الكلمة الواحدة منه لها مدلولها العظيم في هذا التركيب، في هذا السياق، وتبقى دلائلها والفقه المستنبَط من هذا القرآن العظيم إلى قيام الساعة، فنَظْمُ القرآن بالغٌ في إعجازه، ودَلالته على صدق رسول الله -صلوات الله وسلامه عليه-.

من ضمن ذلك هذه التشريعات العظيمة في كتاب الله وفي سُنة نبيه -صلى الله عليه وسلم-، هذه التشريعات هي التي رفع الله تعالى بها هذه الأمة، أمة كانت قبل هذا الدين جاهلية، تأكل الأوثان، وتخفر العهود، وتعبد الأصنام، أُمة على جانب كبير من الفوضى، ما الذي رفعها هذه الرفعة؟ حتى صار الواحد منهم من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- صار حكيما وصارت كلماته تُتداول على أنها من أعظم دلائل حكمة هؤلاء الصحب -رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم-، فما بالك بمعلمهم -صلوات الله وسلامه عليه-.

فهذه التشريعات العظيمة إعجاز عظيم فيها أن الأمة إذا طبَّقتها، وعملت ما ينبغي من القيام بأمر الله فيها، رفعها الله تعالى ونصرها، وإذا هي زهدت فيها ولا تزهد الأمة أبدا جميعا لا ولله الحمد، لكن إذا صار الزهد على جانب كثير من الناس، وأعجبوا بما عليه أعداؤهم وأهل الكفر، فإنهم ينتكسون إلى ضعف ومذلة، كما قال عمر -رضي الله عنه-: (نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله)، فلا يمكن أن نعز إلا بالإسلام، إذا رغب الناس عنه وبحثوا عياذا بالله عن بدائل فإن الله

يُعيدهم إلى الذل؛ إذ قد قال الله: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى المُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، مباشرة يرجعون إلى الضلال؛ لأنه ما رفعهم من ذلك الضلال إلا هذه الحكمة، وهذا العلم الذي جاء الله تعالى به نعمة، فمن زهد فيه سيرجع إلى الضلال، ولذلك كما قلنا ارتكس أُناس من أبناء هذه الأمة إلى تلك المذاهب التافهة الهابطة وأُعجبوا بها، وقَبْلهم مَن أُعجب بفلسفة اليونان، وأدخلوها موازين العلم الشرعي، وأدخلوها فيما سَمَّوْه بعلم الكلام، وهذه الأمة أمة اليونان أمة وثنية، طرائقها وكلامها في الأمور الإلهية على حَسَبِ وثنِيَّتِها، فأخذت مقاييس سقراط وأضرابه وأدخلت في أمور الدين، ولذلك كانت الفتنة بها عظيمة، وأضرت بالأمة أبلغ الضرر؛ لأنها أفكار أناس ليسوا أهل ملة أصلا، إنما هم أهل وثن، أهل فلسفة وأهل وثن، فالفتنة عياذا بالله بهذه الطرائق وبهذه المذاهب المخالفة للإسلام قديمة، وجدت في فترات متقدمة، وأعجب بها المتكلمون، من أول من فتن بها الجهمية، ثم أخذها من بعدهم المعتزلة، ثم صارت تنتشر في كثيرين، حتى صارت السنة المحضة موجودة فيمن تنكب هذه الطرائق الفاسدة وعلم الهدي الذي كان عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه -رضي الله تعالى عنهم- وأصحابه.

من دلائل عظمة هذا القرآن، والدليل به على نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم- ما ذكرنا قبل قليل من الإخبار بالمغيبات، مثل ما ذكرنا أيها الإخوة في سورة الأنبياء مكية ينزل والمشركون على أشد ما يكونون من أذى المسلمين، والمسلمون في حال من الضعف، ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، هؤلاء الصالحون المستضعفون يرثون الأرض؟! نعم، وما هي إلا سنوات يسيرة ويفتح الله -عز وجل- على هؤلاء الضعفاء مكة، ثم ينتشر الإسلام هذا الانتشار العظيم، ويتحقق وعد الله تعالى في استخلافهم وتمكينهم وتبديلهم ذاك الخوف أمنا؛ إذ عبدوه تعالى وحده ولم يشركوا به.

وكذلك ما ذكرنا في أمر المغيبات في أمر غلبة وانتصار الروم، وغير ذلك من المغيبات الكثيرة التي ذكرها الله تعالى في كتابه، وكذلك ذكرها النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ لأن المغيبات موجودة في القرآن وموجودة في السنة.

هناك من الأمور التي فُتِن بها عددٌ في الأزمنة هذه ما زعموه من أن القرآن يخالف العلم الحديث، واعتقاد هذا لا شك أنه ردة، يعني أن تقول: إن القرآن مخالف لما دل عليه العلم، هذا فيه التكذيب،

لكن لو قال قائل: قال أنا لا أدري كيف أجمع بين هذه النظرية وبين القرآن، لكن إذا قال إن القرآن يخالف العلم الحديث، هذه ردة.

إذا قال إن القرآن مخالف للحق الذي تبين، فإن هذه أيضًا ردة، لا يجوز أن تقال هذه الكلمة، لكن يقول: أنا أُشكِل عليَّ هذا النص، ما السبيل إلى تبيينه، فيتأدب مع كتاب الله -عز وجل-، ولا يقال فيه القول الأجوف.

أولا: قد ذكر الله تعالى وعدا لا يتخلف أنه سيري الناس الآيات، الدالة على الحق في الآفاق وفي أنفسهم، فقال: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]، وعد من الله تعالى، وكون الله يُري الناس الآيات، الآيات متنوعة، ومنها آيات متعلقة بالعلم الحديث، نذكر بعضا منها على سبيل، مع أننا نحذر الحقيقة من أن يفتح الباب على مصراعيه فيما يعبر عنه بالإعجاز العلمي، فإن هذا الذي حصل من بعضهم من التجاوز الشديد وتأليف آلاف الصفحات بزعمه أن هذه الآية دلت على تلك النظرية، وهذه الآية دلت على تلك النظرية، هذا أدى إلى فوضى عظيمة.

وهذه النظريات في بعض الأحيان يتضح أنها غير سليمة، فإذا ربطت بالآية فهذه فتنة عظيمة، الواجب في الآيات التي يقال إن فيها دلالة علمية، أن ترفع لأهل العلم لبيان هل تدل على هذه المسألة أو لا، حتى لا يعرض كتاب الله للتكذيب.

نُعطي أمثلة من ذلك: الله تعالى قال في العسل ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩]، إلى فترة قد تصل إلى حدود ثمانين سنة أو نحوها، كان يحذر من العسل باعتباره ناقلًا للميكروبات، المسلم لا يمكن أن يتزعزع وعقيدته ثابتة راسخة فيما أن ما قال الله ﴿فِيهِ شِفَاءٌ﴾ لا يمكن أن يكون فيه عكس الشفاء.

ثم إنه تقدمت البحوث العلمية المحضة، فزرع في العسل هذه الميكروبات، فصار العسل قاتلا بعد أن كانوا يقولون إنه ناقل، والمسلم كما قلنا لا يتزعزع، لا يمكن أن يتزعزع لا قبل ثمانين ولا مائة سنة ولا الآن، هو يعلم أن قوله تعالى: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ﴾ لا شك أنه فيه الشفاء، وزعمهم أنه .. لأنه ماذا يقول؟ يقول: النحلة حشرة، ذباب، فالذي يخرج منها وإن كان حلو الطَّعْم، فإنه في النهاية هو من حشرة، فأبى الله تعالى ذلك، والعسل يدخل في عدد كبير من تركيبات الأدوية، يُضَم إليها شيءٌ منه في تركيب الدواء.

من ذلك ما أمر الله تعالى به من اجتناب المحيض، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾ [البقرة: ٢٢٢]، انظر سبحان الله العظيم، عبارات وجمل قصيرة جدا، ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾ في العسل، في الحيض ﴿هُوَ أَذًى﴾، مباشرة المرأة حال الحيض كما يقع ممن لا يبالون من غير المسلمين في أذى شديد جدا، أولا

أذى نفسي لهذا الموقع القذر للرجل نفسه، ثم إنه سبحان الله معاشرة المرأة في هذه الفترة مضرة جدا للمرأة من الناحية الجسدية العضوية، ويتسبب ذلك في إشكالات كبيرة لها.

لهذا أمر الله باجتناب النساء في المحيض، وإن سخر بهذا الحكم من سخر به من غير المسلمين، ما الفرق؟ مجرد هذا الموضع ما الفرق يعني في هذا الحال وفي غير هذا الحال؟ لا، الفرق كبير؛ لأن الحقيقة هناك بعض الأمثلة مثل ما يعبر عنه بالجنين الذي كان يزعم أنه ينشأ من ماء الرجل دون ماء المرأة، وقد رد ابن القيم على الطَّبائعيِّين في فترة سابقة لأن هذه مقالة للطَّبائعيِّين، وقال: هذا مخالف لكتاب الله -عز وجل-؛ لأنه من أمشاج، من ماء الرجل ومن ماء المرأة، فإلى تقريبا القرن السادس عشر وكان الراسخ المستقر أن الجنين ينشأ من ماء الأب فقط، وهذا مخالف للقرآن، ثم إنَّ العلم بعد ذلك تَقدَّم واتضح أنه ينشأ من ماء الأب والأم معا، وأقر العلم بهذا بعد تلك السنين، قلنا: إن علماء المسلمين كابن القيم يُنكر هذا على الطَّبائعيِّين.

الحاصل أنَّ الأمثلة في هذا كثيرة، والمهم في هذا الباب ألا يُعرَّض القرآن السُّنة للتكذيب، إذا قيل: إن هذا فيه دَلالة وإعجاز علمي كما يُعبَّر عنه، لا بد أن يدل النص دَلالة واضحة، وهذا لا يكون بمجرد أن ينظر فيه الطبيب، أو الفلكي، لا، يقول: هذه الآية نحملها إلى أهل العلم ونوضح لهم ما اكتشفه العلم، فإذا قيل نعم هذه الآية يشمل مدلولها هذا، نعم، أما ما سوى ذلك أن ينبري لهذا الباب من يعلمه ومن لا يعلمه، فلا شك أن هذا من الخلل.

عموما هذا الموضوع العظيم دلائل نبوة نبينا -صلى الله عليه وسلم- موضوع شريف للغاية، وفيه دعوة للمسلمين لتثبيت عوامهم، وترك من تزعزع منهم عن زعزعته، ودعوة غير المسلمين، هذا الموضوع للمسلمين ولغيرهم.

نسأل الله أن يجزي عنا رسولنا خير الجزاء -صلى الله عليه وسلم-، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

حولت المادة الصوتية الى نصية كما القيت ولم تتم مراجعتها من قبل الشيخ